إشكالية الانتماء النوعي لقصيدة كعب بن زهير المزني (ت26هـ): (بانت سعاد)

محمود فارس المقداد

أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية
كلية الآداب، جامعة دمشق، سوريا

الملخص

معظم النقاد العرب القدماء والباحثين المحدثين، بمن فيهم المستشرقون، نظروا إلى (بانت سعاد) على أنها قصيدة مدحية نبوية، ومن ثم عدوا كعب بن زهير مؤسساً للنوع الشعري المسمى (النبويات) في شعرنا العربي. غير أننا نرى أن هذه القصيدة تنتمي إلى النوع المسمى (الاعتذاريات).

هذا البحث يحاول أن يكتشف إن كانت قصيدة كعب بن زهير هذه (بانت سعاد) تنتمي إلى النوع المسمى قصائد المديح النبوي أم إلى قصائد الاعتذار؟

وقد استعملنا المنهج التحليلي لحل هذه القضية: 1- تحليل مواضيع القصيدة؛ يعني النظر بعناية إلى أقسام القصيدة المختلفة. 2- هدف الشاعر. 3- الحافز النفسي لإبداع هذه القصيدة. 4- وظيفة القصيدة.

وبعد كل هذه المراحل، توصلنا إلى نتيجة نهائية هي: 1- هذه القصيدة ليست قصيدة مدحية نبوية، لكنها قصيدة اعتذار، مثل قصائد النابغة الذبياني الست في الاعتذار إلى الملك النعمان بالحيرة في العصر الجاهلي؛ لأن هنالك كثيراً من وجوه التشابه وكثيراً من نقاط التناص. 2- كعب بن زهير ليس مؤسساً للمدائح النبوية (النبويات)؛ لأن المؤسس الحقيقي كان شاعر النبي حسان بن ثابت.

المقدمة

حظيت قصيدة (بانت سعاد) هذه بما لم تحظ به قصيدة أخرى من اهتمام، وعناية، ودرس، وبحث، على امتداد تاريخ شعرنا العربي: فقد ذاع صيتها في زمانها بين الناس، وتحفظوها، ورووها، واهتموا بها بعد زمانها إلى هذا اليوم، حتى إنه لا يكاد مثقف أو متعلم يخلو من حفظها، أو حفظ شيء يسيرٍ منها، وقد شرحها الشراح ما يزيد على خمسين شرحاً[1]، واختارها أصحاب الاختيارات الشعرية فيما اختاروا، وعارضها المعارضون، وشطَّرها المشطِّرون، وخمَّسها المخمِّسون، وترجمها المترجمون إلى لغات إسلامية مختلفة (كالفارسية والتركية..)، وإلى لغات غربية (كالفرنسية والألمانية..)، واعتنى المحقِّقون المحدَثون من عرب ومستعربين بتحقيق مخطوطات شروحها، وأرَّخ مؤرِّخو الأدب لواقعتها وصاحبها، ونشروا ديوانه، ونال كعب بكل ذلك صيتاً طبَّق الآفاق، ومجداً خالداً على مر الزمان، وما ذلك - في رأينا - إلا للوقائع التي أحاطت بإسلام بجير وأخيه كعب، وكونِهما ابني زهير شاعر المعلقة، الإنسانية - الحِكَمِيّة الخالدة، وما نال كعب من جائزة نبوية كريمة.

غير أن هذه القصيدة[2] تطرح إشكالية تتعلق بانتمائها النوعي في الشعر: أهي قصيدة (مدحية) أم (اعتذارية)؟ كما تتعلق بما بني على هذه الإشكالية من كونها القصيدة المؤسِّسة للنوع الشهير باسم (النبويات)، وذلك من خلال الإجماع شبه التام الذي وقع بين القدماء والمحدثين على أنها (مدحية) و(نبوية). ولكننا نرى ذلك من جملة الأوهام الكثيرة التي وقعوا فيها بشأن دراسة أدبنا العربي شعراً ونثراً. ولسوف نقف، في هذا البحث، على حقيقة الأمر، من خلال الحجة والبرهان.

ولعل سبب هذه الإشكالية، في انتماء (بانت سعاد)، عدم وضوح نظرية الأنواع الأدبية في أذهان المصنفين القدماء، وفي أذهان من جاراهم من الباحثين في العصر الحديث. علماً أن كثيراً من القدماء أحسوا بوجود الأنواع الأدبية، وسموا كثيراً منها بأسمائها، غير أنهم لم يحاولوا التنظير لها بشيء من العمق أو

التدقيق: فهم الذين ذكروا (النثر) في مقابل (الشعر)، وذكروا الأنواع التي تتفرع من النثر (كالخطب، والوصايا، والرسائل، والحكم، والأمثال... إلخ)، وذكروا أيضاً الأنواع التي تتفرع من الشعر أو تنتمي إليه (كالمديح، والهجاء، والرثاء، والفخر، والغزل... إلخ).

1 - مفهوم الأدب وتقسيماته

يتفق الباحثون في حقل الأدب على كونه إحدى الفعاليات التعبيرية عما في نفس الإنسان عن طريق (الكلمات)، إلى جانب الفعاليات التعبيرية الأخرى: كالرسم، والنحت، والتصوير، والموسيقى، إلخ. ولكل منها وسائله ومواده التي تستعمل فيه. غير أن الأدب المعبِّر بـ(الكلمات) يبقى أوضحها، وأقدرها على الإفهام، ونقل ما في عقل الشاعر أو الناثر ونفسه إلى الآخرين.

وللأدب جنسان: (الشعر) و(النثر)، وهما يشبهان وجهي قطعة النقد الورقية أو المعدنية.

وتتفرع من (الشعر) جملة أنواع، تبلغ في أدبنا نحو ثلاثين نوعاً، وتتفرع من (النثر) جملة أنواع أخرى، تبلغ أيضاً نحو ثلاثين نوعاً، غير أنها لم تظهر في عصر أدبي واحد، وإنما تدرجت في الظهور، عبر العصور الأدبية المتوالية، من الجاهلية إلى اليوم، تلبية لحاجات مختلفة (اجتماعية أو دينية أو سياسية أو إدارية أو حربية أو اقتصادية... إلخ). وهنالك أنواع مشتركة بين الشعر والنثر (كالوصايا، والرسائل، والحكم، والأمثال... إلخ).

وكان بعضها نابعاً من صميم أدبنا، وبعضها الآخر كان منقولاً عن الآداب الأخرى أو مقتبساً منها؛ نظراً إلى تلبيتها حاجة ماسة في حياتنا (كالمسرحية، والمقالة، والخاطرة، والرواية... إلخ). وكانت بعض الأنواع تشتق أحياناً من أنواع أقدم(كالنبويات من المديح التقليدي، والنقائض من الهجاء... إلخ). وكان بعض الأنواع يظهر في عصر، ليختفي نهائياً في عصر آخر(كسجع الكهان، والمفاخرات والمنافرات النثرية).

2 - مفهوم الأنواع الأدبية

يمكن أن نذكر، هنا، أبسط التعاريف لمفهوم الأنواع الأدبية، بالقول: إنها (الأشكال التعبيرية)، أو (القوالب)، التي تُصَبّ فيها الأفكار والصور، على شكل كلمات، يترابط بعضها مع بعض، من خلال عقل المنشئ، وعاطفته، وتصويره لنفسه، أو تصوُّره لمحيطه الاجتماعي والطبيعي.

ولكل شكل، أو قالب تعبيري منها، شخصيته المستقلة التي تميزه من غيره بجملة خواص: كطول النص، والمفردات المستعملة فيه، والمنهج الذي يسير عليه، والدافع النفسي لإنتاجه، والوظيفة التي يؤديها، والهدف أو الغاية التي يرمي إلى تحقيقها... إلخ.

3 - من هو كعب بن زهير؟

هو ابن الشاعر الجاهلي الشهير زهير بن أبي سلمى المزني، صاحب المعلقة الحكمية (أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى..). وقد نشأ كعب، وترعرع، في كنف أبيه، وتأثر به شاعراً، وأخذ عنه طريقته التي اشتهرت بمدرسة (عبيد الشعر) أو (المدرسة الأوسية)؛ نظراً إلى عناية أتباعها بصنعة الشعر وتهذيبه وإتقانه. وقد أمضى كعب حياته في بوادي نجد، وتوفي سنة 26هـ. قال الشعر في جاهليته، وفي إسلامه، فهو من الشعراء المخضرمين بينهما، وأشهر قصائده في الإسلام (بانت سعاد). وقد وضعه ابن سلام (م231هـ) ثالثاً في الطبقة الثانية من فحول الشعراء الجاهليين[3]. ويبدو أن أهم ما في سيرة كعب هذا، إنما هو خبر تعليم أبيه زهير إياه الشعر على طريقته، وصلته بالحطيئة الشاعر، وخبر إسلامه الفريد من نوعه، الذي هو مناسبة هذه القصيدة وسببها، حتى قال بعض القدماء: "لم أسمع قط في خبر كعب بن زهير حديثاً أتم ولا أحسن من هذا، ولا أبالي ألا أسمع من خبره غير هذا"[4].

4 - ما مناسبة القصيدة؟

يروي القدماء أن كعباً وبجيراً قد تذاكرا - بعد صلح الحديبية، أواخر سنة 6هـ - ما وصل إليهما من أخبار النبي -ﷺ-، ودعوته، والأحداث التي كانت في

الحجاز، ورأى كعب أن يتوجه أخوه بجير إلى المدينة، لينظر ما عند النبي ﷺ، ويعود إليه ليخبره به، ويريا رأيهما فيه، غير أن بجيراً، حين جاء المدينة، وسمع من النبي ﷺ، أعجبه ما عُرِض عليه فأسلم، وبلغ كعباً خبرُ إسلامه، فعاتبه برسالة شعرية شديدة اللهجة، يقول فيها[5]:

ألا أبلِغا عني بجيراً رسالةً ... فهل لكَ فيما قلتُ بالخَيْفِ هل لكا
شربتَ مع المأمونِ كأساً رَوِيَّةً ... فأنْهَلَكَ المأمونُ منها وعلَّكا
وخالفتَ أسبابَ الهدَى وتبِعْتَهُ ... على أيِّ شيءٍ وَيْبَ غَيرِكَ دَلَّكا
على خُلُقٍ لم تُلْفِ أُمَّاً ولا أباً ... عليه ولم تُدْرِكْ عليهِ أخاً لَكا

فأبلغ بجير النبي ﷺ هذه الأبيات، وكان لا يخفي عنه شيئاً، فغضب، وأهدر دمه قائلاً: "من لقيَ منكم كعبَ بْنَ زهيرٍ فلْيقتلْه"[6]، لعدة أسباب: منها اتهامه النبي ﷺ بالشرب، ولو مجازاً وكناية؛ لأن ما يترتب عليه نوع من الخداع لبجير، وإن كنى بذلك عن السحر، فإن النبي عدو للسحر، ثم إنه اتهم النبيَّ – في البيت الثالث – بأنه قد أضل أخاه، بعد أن كان مهتدياً، وهذا يخالف حقيقة النبي الذي بُعِث أصلاً لهداية الناس. ثم إن كعباً يستصغر– في الشطر الثاني من البيت 3– شأن ما دل النبيُّ بجيراً عليه من عقائد، وعبادات، ومعاملات، وأخلاق، وفي البيت الأخير يبدي احترامه لما كان عليه هو وآباؤه من دينٍ، على أنه هو الدين الصحيح. ولا شك أن وعيد النبي ﷺ هذا، كان قابلاً للمراجعة، إلا في حالة واحدة، هي الإصرار على الكفر والعداء.

وفي السنة 8هـ، كان بجير في جيش النبي ﷺ الذي فتح به مكة، وظل معه حتى شهد وقعة حنين، وحصار الطائف، ورأى النبيَّ يأمر بقتل بعض من آذاه بلسانه وأصر، ورآه يعفو عن شعراء جاؤوه معتذرين، ومعلنين إسلامهم؛ لأن مبدأ (الإسلام يجبُّ ما قبله) كان من المبادئ الرحيمة لإعمال العفو عن الأعمال العدائية للنبي والمسلمين، ولذا عفا عن وحشي، قاتل عمه حمزة، في وقعة أُحُد، حين جاءه مسلماً.

ولنتصور المعاناة النفسية الشديدة، التي عاناها كعب، ما بين صدور الوعيد وعودة النبي من الطائف، سنة 8هـ، وهي مدة تقارب السنة، كانت دائرة

الإسلام خلالها تتفشى وتتسع، ودائرة الشرك تنحسر وتضيق، والرجل حائر لا يدري إلى أين المفر، لم ينجده خليل ولا حميم، ولم يلجئه أهل ولا عشيرة، حتى بات يتلفت حوله، مترقباً الوقوع، في أي لحظة، بيد لا يدري من أين تَطوله، ولا أين تصيبه، وتضخم الخوف في نفسه من القتل، حتى لم يعد يطيق العيش، ولا يتذوق طعم النوم، ولا ملذات الحياة.

وهنا رمى إليه أخوه بجير بطوق النجاة، عند عودته مع النبي والمسلمين من الطائف إلى المدينة، بعد أن حققوا انتصاراتٍ هائلةً، وذاع صيتهم الرهيب في أرجاء الجزيرة، وتمثَّل طوق النجاة هذا في رسالةٍ شعرية موجزةٍ، بعث بها إلى كعب مع خبرِ مَنْ قُتِل ومَنِ اعتذر، داعياً إياه إلى الدخول في دين الله، حتى يكون من الناجين، وإلا فهو مصرّ على الضلالة، ولقاء المصير المحتوم، يقول فيها[7]:

مَنْ مُبْلِغٌ كعباً فهل لك في التي ... تلُومُ عليها باطلاً وَهْيَ أحزمُ
إلى الله لا العُزَّى ولا اللاتِ وحدَه ... فتنجُوْ إذا كان النَّجاءُ وتَسْلَمُ
لدى يومِ لا ينجُو وليس بِمُفْلِتٍ ... من النارِ إلا طاهرُ القلبِ مُسْلِمُ
فدينُ زهيرٍ وَهْوَ لا شيءَ دينُهُ ... ودينُ أبي سُلْمَى عليَّ مُحرَّمُ

ويصوِّر ابن إسحاق (م153هـ) وقع هذه الرسالة في نفس كعب خير تصوير، فيقول: "فلما بلغ كعباً الكتابُ ضاقت به الأرض، وأشفق على نفسه، وأرجف به من كان في حاضره من عدُوِّه، فقالوا: هو مقتول. فلما لم يجد من شيء بُدّاً، قال قصيدته التي يمدح فيها رسول الله ﷺ، وذكر فيها خوفَه وإرجافَ الوشاة به من عدوِّه، ثم خرج حتى قدم المدينة"[8]. وقد أحسن ابن سلام وصف حالته النفسية، ومعاناته، باختصار شديد، حين أبلغه بجير وعيدَ رسول الله ﷺ، فقال عنه: "فاستُطيرَ ولفظتْهُ الأرضُ"[9].

5 - مختارات من نص القصيدة[10]

القسم الأول - ذكر المحبوبة (سعاد):

1 - بانتْ سُعادُ فقَلْبِي اليَوْمَ مَتْبُولُ ... مُتَيَّمٌ إِثْرَها لم يُجْزَ مَكْبُولُ

2 – وما سُعادُ غَداةَ البَيْنِ إذْ رَحَلُوا إلا أَغَنُّ غَضيْضُ الطَّرْفِ مَكْحُولُ[11]

3- تَجْلُو عَوارِضَ ذي ظَلْمٍ إذا ابْتَسَمَتْ كـأَنَّـهُ مُـنْـهَـلٌ بـالـراحِ مَـعْـلُـولُ[12]

6- يا ويحَها خُلَّةً لو أنها صَدَقَتْ ما وَعَدَتْ أو لَوَ انَّ النُّصْحَ مَقْبُولُ

7- لكنَّها خُلَّةٌ قد سِيْطَ من دَمِها فَجْعٌ ووَلْعٌ وإخلافٌ وتَبْدِيْلُ[13]

10- كانتْ مواعيدُ عُرْقُوبٍ لها مَثَلاً ومـا مـواعِـيْـدُهـا إلا الأبـاطِـيْـلُ

13- أَمْسَتْ سُعادُ بأَرْضٍ لا يُبَلِّغُها إلا العِتَاقُ النَّجِيْباتُ المراسِيْلُ

القسم الثاني – وصف الناقة والرحلة:

14- ولـن يُـبَـلِّـغَـهـا إلا عُـذافِـرَةٌ فيها على الأَيْنِ إرقالٌ وتَبْغِيْلُ[14]

16- تَرْمِي الغُيُوبَ بِعَيْنَيْ مُفْرَدٍ لَهِقٍ إذا تَـوَقَّـدَتِ الـحِـزَّانُ والْـمِـيْـلُ[15]

17- ضَخْمٌ مُقَلَّدُها فَعْمٌ مُقَيَّدُها في خَلْقِها عن بناتِ الفَحْلِ تَفْضِيْلُ

27- كأَنَّ أَوْبَ ذِراعَيْها وقد عَرِقَتْ وقد تَلَفَّعَ بالقُورِ العَسَاقِيْلُ[16]

29- شَدَّ النهارِ . . ذِراعا عَيْطَلٍ نَصَفٍ قامَتْ فجاوَبَها نُكْدٌ مَثَاكِيْلُ[17]

30- نَوَّاحَةٍ رِخْوَةِ الضَّبْعَيْنِ ليس لها لَـمَّا نَعَى بِكْرَها الناعُونَ مَعْقُولُ[18]

31- تَفْرِي اللَّبَانَ بِكَفَّيْها . . ومِدْرَعُها مُشَقَّقٌ عن تَرَاقِيْها رَعَابِيْلُ[19]

القسم الثالث – وصف خوفه ومعاناته من وعيد النبي ﷺ:

32- يَسْعَى الوُشاةُ بِجَنْبَيْها وقَوْلُهُمُ: إنَّكَ يا بْنَ أبي سُلْمَى لَـمَقْتُولُ

33- وقال كلُّ خليلٍ كنتُ آمُلُهُ لا أُلْفِيَنَّكَ إنِّيْ عنكَ مَشْغُولُ

34- فَقُلْتُ: خَلُّوا سَبيلِي لا أبا لَكُمُ فكُلُّ ما قَدَّر الرحْمنُ مَفْعُولُ

35- كُلُّ ابْنِ أُنْثَى وإنْ طالَتْ سَلامَتُهُ يَوْماً على آلَةٍ حَدْباءَ مَحْمُولُ

36- أُنْبِئْتُ أنَّ رَسُولَ اللهِ أَوْعَدَنِي والعَفْوُ عندَ رَسُولِ اللهُ مَأْمُولُ

37- مَهْلاً هَدَاكَ الذي أَعْطاكَ نافِلَةَ الـ ـقُرْآنِ فيها مَواعِيْظٌ وتَفْصِيْلُ

38- لا تأْخُذَنِّي بِأَقْوالِ الوُشَاةِ ولَـمْ أُذْنِبْ ولَوْ كَثُرَتْ عَنِّي الأقاويلُ

39- لقد أَقُومُ مَقاماً لو يَقُومُ بِهِ أَرَى وأَسْمَعُ ما لَوْ يَسْمَعُ الفِيْلُ

40- لَظَلَّ يُرْعَدُ إلا أنْ يَكونَ لَهُ من الرسُولِ بإذْنِ اللهِ تَنْوِيلُ

القسم الرابع - مدح النبي ﷺ:

41- حتى وَضَعْتُ يَمِيْني لا أُنازِعُهُ في كَفِّ ذِيْ نَقِماتٍ قِيْلُهُ القِيْلُ

42- لَذَاكَ أَهْيَبُ عِنْدِي إذْ أُكَلِّمُهُ وقِيْلَ إنَّكَ مَسْبُورٌ ومَسْؤُولُ

43- مِنْ ضَيْغَمٍ مِنْ ضِرَاءِ الأُسْدِ مُخْدَرُهُ بِبَطْنِ عَثَّرَ غِيْلٌ دُونَهُ غِيْلُ[20]

44- يَغْدُو فَيَلْحَمُ ضِرْغامَيْنِ عَيْشُهُما لَحْمٌ من القَوْمِ مَعْفُورٌ خَرَاذِيْلُ[21]

48- إنَّ الرَّسُولَ لَسَيْفٌ يُسْتَضاءُ بِهِ مُهَنَّدٌ من سُيُوفِ اللهِ مَسْلُولُ

القسم الخامس - مدح المهاجرين من قوم النبي ﷺ:

ويقع في سبعة أبيات (49-55) من قوله: "في عُصْبَةٍ من قُرَيْشٍ-." إلى قوله: "لا يَقَعُ الطَّعْنُ إلا في نُحُورِهِمُ.."، ولم يُذكَر النبيُّ فيها بكلمة واحدة.

6 - آراء القدماء والمحدَثين في الانتماء النوعي للقصيدة

1 - رأي القدماء

يكاد الإجماع يُطْبِق، عند القدماء، على أن قصيدة كعب هذه، إنما هي (قصيدة مدح)، ونعرض لأهم آرائهم في تحديد نوعها؛ لأن جمع كل ما قالوا كثير يجزئ بعضه عن بعض. ولعل أقدم مَنْ أثبت نص القصيدة كاملة بالكتابة - كما مرَّ بنا آنفاً - وذكر أنها في مدح رسول الله محمدُ بنُ إسحاق (مولى قريش) (م153هـ)، الذي كان صاحب أول سيرة متكاملة للنبي ﷺ. وأتى من بعده ابن سلام (م231هـ)، فقال: "فأمَّنه رسول الله، فأَنشَدَه مِدْحَتَه التي يقول فيها: بانت سعاد.."[22]. ولعل من أغرب الغرائب، أن محمد بن سعد الزُّهري (كاتب الواقدي) (م230هـ)، لم يترجم لكعب في (الطبقات الكبرى)، ولم يذكر قصيدته من قريب أو بعيد، كما أنه لم يترجم لأخيه بجير أيضاً.

ونرى ابن هشام الأنصاري (م761هـ)، أشهر شُرَّاح (بانت سعاد)، يقول: «فقال هذه القصيدة يمدح فيها رسول الله ﷺ»[23].

وقد ترجم ابن خلكان (م681هـ) لعينٍ من الأعيان، يدعى علي بن محمد العمراني الخوارزمي (م560هـ)، فقال: «له شعر حسَنٌ، فمن قوله في صباه في مدح رسول الله ﷺ وخلفائه الراشدين يعارضُ قصيدة كعب بن زهير: بانت سعاد..:

أضاءَ بَرقٌ وسِجْفُ الْلَيْلِ مَسْدُولُ كما يُهَزُّ اليَمانِيْ وَهْوَ مَصْقُولُ

وفيها يقول عن النبي ﷺ:

هَدَى إلى دينِ إبراهيم أُمَّتَهُ وكُلُّهُمْ بعقال الشِّرْكِ مَعْقُولُ»[24]

ويكاد عبد اللطيف البغدادي (م629هـ)، وهو أحد شارحي القصيدة، ينقل أو يردِّد قول ابن سلام السالف ذكره بحذافيره، حين قال: «فأمَّنه النبي -ﷺ-، فأنشده مِدْحتَه التي يقول فيها: بانت سعاد..»[25]. وممن كانوا يعتقدون أنها مدحية أيضاً البوصيري (م697هـ)، بدليل أنه عارضها بقصيدة من 204 أبيات أسماها (ذُخْر الْمَعاد في معارضة بانت سعاد)، يقول في مطلعها[26]:

إلى متى أنتَ باللَّذَّاتِ مَشغُولُ وأنتَ عن كلِّ ما قدَّمْتَ مَسؤُولُ

في كلِّ يومٍ تُرَجِّيْ أنْ تتوبَ غداً وعَقْدُ عَزْمِكَ بالتسْوِيْفِ مَحْلُولُ

وهي التي نرجِّح أنها سميت باسم (بردة البوصيري)، وأن الخلط جرى بينها وبين (ميمية البوصيري) (أمن تذكُّر خِلَّانٍ..)، التي تُدعَى (البُرْأَة)[27]، ونتيجة لهذا الخلط سمَّى أحمد شوقي قصيدته (الميمية) الشهيرة، (ريم على القاع..)، التي عارض بها (ميمية البوصيري)، باسم (نهج البردة). وهكذا نتبيَّن أن جميع من وَصَّف هذه القصيدة ذهب إلى أنها (قصيدة مدح)، كما أن جميع من عارضها أو عارض من عارضها كان يعتقد بأنها كذلك، يضاف إلى ذلك أن جميع من شرحها من القدماء - وهم أكثر من خمسين شارحاً، من أشهرهم ابنُ هشام الأنصاري (م761هـ)، الذي أضفى عبد القادر البغدادي (م1093هـ)، صاحب (خزانة الأدب)[28]، على شرحه قيمةً أوسع حين وضع عليه (حاشيته) الشهيرة - كانوا يرون أن القصيدة (مدحية)، علماً أن بعضهم أطنب في شرح ما فيها من وعيد النبي ﷺ لكعب، ومن وصفِ كعبٍ مخاوفَه ومعاناتَه، ومن تبرُّئه

مما نسب إليه، وطلبه العفو، وهذه أشياء تُشعِر بأنها لم تكن مدحية، كقول ابن هشام عن كعب مثلاً: «ويذكر خوفَه وإرجافَ الوشاة به من عدُوِّه»[29]. وورد في مطلع شرح مخطوطة لأحمد بن محمد اليمني الشرواني (م1253هـ تقديراً) قوله: «قال [أي كعب] هذه القصيدة يمدح فيها رسول الله ﷺ ويذكر خوفه وإرجاف الوشاة به»[30]. وهذا يعني أن الغالبية المطلقة من القدماء كانوا يعتقدون أن قصيدة كعب مدحية.

وقد سكت فريق من القدماء، في مؤلفاتهم، عن وصف القصيدة بشيء، حين ذكروها، أو أشاروا إليها: منهم ابن قتيبة (م276هـ)[31]، والمرزباني (م384هـ)[32]، وابن رشيق (م456هـ)[33]، وأبو زيد القرشي (من القرن3 أو 4هـ)، في (جمهرة أشعار العرب)، مع أنه سرد – في مقدمة هذه الجمهرة – خبر هذه القصيدة[34]، وقد جعلها القصيدة الثانية ترتيباً ضمن السبع المشوبات، التي تكوِّن المجموعة السادسة فيها[35].

وربما كان أبو الفرج (م356هـ) الوحيدَ، الذي ذكر أن (بانت سعاد) اعتذارية، حين قال: «فأسلم كعبٌ وقال القصيدة التي اعتذر فيها إلى رسول الله ﷺ: بانت سعاد..»[36].

2 - رأي المحدَثين

(أ) رأي الباحثين العرب

ذهبت الأغلبية المطلقة، من باحثينا العرب، في العصر الحديث، إلى ما ذهب إليه القدماء، وكرر بعضهم ما قالوه من أن القصيدة كانت (قصيدة مدح)، فقد ذكر أحمد حسن الزيات قوله عن كعب: «ودخل في الإسلام، ومدحه [ﷺ] بلاميته المشهورة، فعفا عنه وأمَّنه، وخلع عليه بردته»[37]، ثم ذكر القصيدة ثانية، فقال: «من عيون شعره مَشُوبتُه التي مدح بها الرسول»[38].

وقال د. شوقي ضيف، مردداً قول ابن سلام، وقول عبد اللطيف البغدادي، معاً، ومضيفاً إليهما وصف القصيدة بصفة الخلود: "فأمَّنه رسولُ الله، وأنشده مِدْحتَه الخالدة"[39]. وذكر د. وهب رومية في معرض تناوله

لقصيدة المدح عند كعب: "وإذا أردنا أن نستظهر على ما نقول، لم يكن أمامنا إلا الوقوف على أطرافٍ من مدائحه، وأحب أن أبدأ ببردته المشهورة الذائعة الصيت على مر الأيام"[40].

وراح بعضهم يبحث عن أسباب خلود هذه القصيدة، دون غيرها من القصائد التي مُدِح بها النبي ﷺ قديماً وحديثاً، فبعد أن ذكر د. محمود علي مكي، في كتابه الذي وقفه على (المدائح النبوية)، قوله: "ونختم هذا الحديث عن مُدّاح الرسول ﷺ، في حياته، بالكلام عن هذا الشاعر الذي تجاوزت مِدْحَتُه للرسول ﷺ كل المدائح السابقة"[41]، ويعني به (كعب بن زهير)، نجده يتساءل قائلاً: "ما هو سِرُّ إعجاب القدماء والمحدثين بهذه القصيدة؟"[42]، حتى أفْرَطوا في الاهتمام بها، ثم يقدِّم جملةَ محاولاتٍ لتفسير هذا السر، غير أن الدكتور مكي وقع في تناقض بشأن انتماء القصيدة النوعي حين جعل القصيدة "أشهر مدائح الرسول القديمة كلها"[43]، ثم عاد، في الوقت نفسه، ليقول: "وقد يميِّز هذه القصيدة أنها تنتمي إلى ما سُمِّي في الأدب العربي بـ: فن الاعتذاريات"[44]، وهذا ما كان يقع فيه بعض الباحثين الآخرين، حين يذكرون أن القصيدة مدحية، ثم يتحدثون عن خوف كعب، ومعاناته النفسية، واعتذاره بها إلى النبي ﷺ عما سلف منه بحقه؛ أي أنهم كانوا يحسون بذلك إحساساً خفياً، من غير أن يسموه بشيء دقيق، حتى إن د. زكي مبارك قال: «إن كعب بن زهير لم يمدح الرسول إلا لينجو من الموت»[45]. وربما حسم د. وهب رومية انتماء القصيدة إلى نوعين شعريين معاً هما (المدح) و(الاعتذار)، حين قال عن كعب: «وهكذا يوفِّر لمدحه واعتذاره طائفة كبيرة من مقوماته الفنية»[46]، ويؤكد إحساسه الواضح بوجود النوع الثاني حين يقول: «فهو يصوِّر خوفه الشديد حين انتهى إليه وعيدُ الرسول ﷺ»[47]. ونجد مثل هذا التردُّد عند د. يحيى الجبوري، إذ يقول: "وهي من القصائد الهامة في الاعتذار للرسول ومديحه"[48].

وكان بعض المحدَثين يرى أن القصيدة (اعتذارية)، ومنهم د. عبد القادر القط، حين قال عن كعب: "فقد بدأ يعتذر إلى النبي في أسلوبه السهل"[49].

وبعدما رأينا آنفاً تردُّد د. يحيى الجبوري، نراه في موضع آخر يصف القصيدة بأنها اعتذارية، في معرض حديثه عن نموذج للغزل العفيف في البوادي "مثل قصيدة كعب بن زهير في الاعتذار لرسول الله ﷺ"[50].

وهكذا نرى أغلبية المحدَثين المطلقة تذهب إلى أن القصيدة (مدحية)، كما أن عدداً يسيراً منهم يتردَّد في تحديد انتمائها النوعي بين (المدح والاعتذار)، وكانت قلة نادرة جداً تراها (اعتذارية)، فكان توصيفها عندهم شبيهاً بما عند الأقدمين.

(ب) رأي المستعربين الغربيين

أشار بعض المستعربين الغربيين إلى النوع الذي تنتمي إليه قصيدة كعب، غير أنهم جميعاً كانوا يترجمون ما ذهب إليه العرب القدماء أو المحدَثون أنفسهم، ويقولون به اتباعاً وتقليداً، ومنهم مثلاً المستعرب الألماني، تركي الأصل، (فؤاد سيزكين)، حين قال عن كعب: "إن قصيدته في مدح النبي ﷺ.. حقَّقت للشاعر مكانة باقية"[51]. وذكر المستعرب الفرنسي (ريجيس بلاشير) R. Blachre أن كعباً "قَدِم المدينة ومدح بها النبي [ﷺ]، فأمَّنه"[52]، وقال تلميذه (أندريه ميكيل) A. Miquel عن القصيدة: "وهي قصيدةُ مدحٍ في الرسول [ﷺ] قالها كعب بن زهير"[53]. وكان مترجمو القصيدة إلى بعض اللغات الغربية يعتقدون – بطبيعة الحال – أنها قصيدة مدحية أيضاً.

أما المستعرب الألماني (كارل بروكلمان) C. Brockelmann، فقد سكت، عند تقديم نبذة عن حياة كعب وآثاره وما دار حولهما، عن وصف القصيدة بأنها مدحية أو اعتذارية[54].

7 - كيف نحدِّد النوع الذي ينتمي إليه النص الأدبي؟

إذا كنا قد سلَّمْنا بأن الأنواع الأدبية عموماً، إنما هي قوالب تعبيرية، يكون كلٌّ منها مستقلاً بشكله، وأدواته، ومعجمه اللغوي، وطوله، ومنهجه، ودافعه النفسي، ووظيفته، وغايته، إلخ.. وبأن التطابق التام والمطلق غير وارد بين

اثنين منها، وإلا ما كان كل منهما نوعاً قائماً بذاته، فلا بد من التمييز بين هذه الأنواع بمثل هذه المعايير مجملة أو مفرَّقة، حتى يتم لنا تحديد النوع الذي ينتمي إليه أي نص شعري أو نثري تحديداً دقيقاً.

ولنأخذ، هنا، بعض هذه المعايير لنطبِّقها على نص قصيدتنا الراهنة، لتبيُّن وجه الانتماء النوعي الدقيق للقصيدة، علماً أننا ندرك أن هذه القصيدة مركَّبة من عدد من الأنواع: إلا أن بعضها يمثِّل (أنواعاً ممهِّدة أو تابعة)؛ لأنها ليست مقصودة لذاتها، بل تعمل عمل التمهيد النفسي لقبول الغاية، وتتعاون فيما بينها خدمة لهدف النص، فيما نحب أن ندعوه (**تراسُلاً بين الأنواع الأدبية**). ولنأخذ – على سبيل المثال – ثلاثة معايير منها، هي: (**الدافع**) و(**الوظيفة**) و(**الغاية**)؛ لأننا إذا نظرنا، من خلال هذه المعايير، فسنجد – مثلاً – أن (الكره والحقد والغضب والحسد..) هي العواطف التي تدفع الشاعر إلى (**الهجاء**)، وأن وظيفة هذا الهجاء إنما هي (تشويه صورة المهجو وتقبيح أفعاله وأقواله والسخرية من شكله إن كانت فيه عيوب..)، أما الغاية من وراء ذلك فهي (تنفير الناس من أفعاله وأقواله وأخلاقه وإضحاكهم منها، والحط من قدره، والانتقام منه بجعله نموذجاً للإنسان الكريه المذموم الذي يبتعد الناس عنه..). أما عاطفة (الإعجاب والاحترام والمودة أو حتى الطمع في الجوائز والعطايا..) فتقف دافعاً وراء (**المدح**) الذي تقوم وظيفته على (تحسين صورة الممدوح، وتلميعها، وتصوير أفعاله وأقواله وأخلاقه وشكله بأحسن الصور..)، وغاية ذلك (جعله محبوباً عند الناس، والتحبيب بأفعاله وأقواله وأخلاقه، ورفع قدره وتخليد ذكره، وجعله مثالاً يُقْتَدى به، ومركزَ جذب لقلوب الناس). ونرى (حب المرأة والميل إلى التمتع بحسنها وجمالها ورقتها وطيبها معنوياً ومادياً..) يقف دافعاً إلى (**الغزل**) الذي تتمثَّل وظيفته عند الشاعر في (رسم أجمل الصور للمرأة المحبوبة من حيث الجمال المادي والمعنوي)، والغاية أن (يجعل منها مثالاً للجمال الذي يُعْجِب الرجال في زمانه ويكون نموذجاً يقتدى به من النساء)، وهكذا الأمر في الأنواع الشعرية والنثرية الأخرى.

ونطبق فيما يلي هذه المعايير الثلاثة نفسها – مثلاً – على قصيدة كعب، بغية تحديد انتمائها النوعي بدقة:

أ - الدافع إلى نظم قصيدة (بانت سعاد)

يقتضي الوقوف على هذا الدافع، أن نطرح جملة من الأسئلة، للتمييز بين النوع الممهد أو التابع والنوع الأساسي أو الجوهري في القصيدة المركبة، كالقول: أكان حبُّ النبي ﷺ وصحابته (رضي الله عنهم)، هو الدافع النفسي إلى قول القصيدة فيهم؟ أم كان هو الإعجابَ بهم؟ أم أنه كان الطمعَ في الجائزة عند النبي الكريم؟ ويأتينا الجواب عن كل ذلك بالنفي؛ لأن أياً من هذه الدوافع لم يكن وراء نظم هذه القصيدة، بل إن كعباً كان قد كره إسلام أخيه، وعرَّض بالنبي ﷺ وأصحابه، وذكر الإسلام بالسوء وبأنه ضلالة، وتوعَّده النبي بالقتل، وفرَّ منه فراره من قسوَرَة، ولم يُغمَض له جفن من شدة المعاناة النفسية والمادية، ومن مرارة الهلع والخوف، وشكا حاله إلى أهله وخلانه الحميمين، فنصحوه بالابتعاد عنهم؛ لأنهم لا طاقة لهم بإجارة أحدٍ من رسول الله، ويئس من اللحاق بسعاد وتحقيق سعادته، ووصل إلى نفق مظلم لا بصيصَ نورٍ في آخره، ورأى الإسلام يفشو في جزيرة العرب، وخاصة سنة 8هـ، التي شهدت تحدي المسلمين في (مؤتة) للروم، وفتح مكة، ونصر حنين، وحصار الطائف، الأمر الذي أقنع العرب بقوتهم.

وقد صرف الأبيات (32–35) من القسم الثالث آنفاً على وصف هذا الخوف، ووصف حالته النفسية ويأسه، واستسلامه أخيراً لقدره ومصيره في الحياة، بناء على نصيحة أخيه، ليهرب من النبي إليه، واضعاً روحه على راحته ليفعل بها ما يشاء: فكيف يكون هذا الخوف الشديد من وعيد رسول الله ﷺ دافعاً إلى مدحه؟ كما أن النبي لم يكن ممن يطمع الشعراء لديه بجوائز مالية أو عينية مغرية، كما كان شأنهم مع الملوك والسادة في العصر، فلِمَ يُقدِم على الرحلة إليه إذن؟ ولو سأل سائل في إطار كل المعلومات والوقائع التي أحاطت بكعب: هل كان لهذا الشاعر أن يفكر في نظم هذه القصيدة لو لم يكن النبي قد

توعَّده، ولم تكن حياته في خطر، ولو لم يكن خلاصه على يد النبي وحده؟ لكان الجواب: لا، لم يكن ليفعل ذلك، ولم يكن ليرحل إليه أصلاً، إلا ليعلن إسلامه كغيره من الشعراء الكثر ممن أسلموا، ثم لم يكن منهم مدح ولا دعوة ولا دفاع عن المسلمين. وهو نفسه يقِرُّ بأن دافعه وعيدُ رسول الله إياه، حين يقول في الشطر الأول من (البيت 36) من القسم الثالث من القصيدة آنفاً: (**أنبئت أن رسول الله أوعدني**): فكيف يكون الوعيد والتهديد دافعاً إلى المدح؟

ب - وظيفة هذه القصيدة

واضح من كل الأنواع، التي مهد بها، أو من النوع الجوهري في القصيدة، أنه كان يصور حالته التي تثير الشفقة عليه من قِبَل سامعه، وركزت القصيدة على تصوير انهزامه على كل الصعد في الحياة (وخاصة في علاقة الحب والصداقة)، وعلى أن الآفاق سُدَّت في وجهه، وتخلى عنه جميع الناس، فصار يعيش في جحيم القلق على المصير، نتيجة الرعب والخوف اللذين يعاني منهما، ولم يبق أمامه إلا أمل واحد هو تسليم أمره ومصيره للنبي الكريم، ووضع دمه بين يديه، وانتظار الحكم الذي سيصدره بحقه، أياً ما كان (**فكلُّ ما قدر الرحمنُ مفعولُ**)، ولا مفر من هذا القدر.

جـ - الغاية من نظم هذه القصيدة

لمعرفة هذه الغاية - وهي (جوهر القصيدة) - يمكن أن نطرح الأسئلة الآتية، وأن نجيب عنها بكل دقة: هل كانت غاية كعب أن يتغزَّل بمحبوبته (سعاد) حين هم بالرحيل إلى النبي ﷺ ليسمعه إياه؟ بالطبع لا، وبهذا لا يكون القسم الأول (ب1-13) غاية القصيدة، بل هو وسيلة إلى تلك الغاية؛ أي أن الغزل فيه موظَّف في التمهيد لها. ثم هل كان وصف الناقة والرحلة هو غاية القصيدة؟ وهل كان كعب قاصداً النبي ﷺ ليسمعه وصف ناقته ورحلته، مع أنه خصهما بأبيات أكثر مما خصَّ به جوهر القصيدة؟ والجواب بالطبع: لا؛ لأننا لم نجد شاعراً جاهلياً أو مخضرماً يجعل وصف الناقة والرحلة غاية له، وبذا لا يكون القسم الثاني (ب14-31) هو الغاية أيضاً. أما أبيات القسم الثالث (ب32-40) فقد كانت

وصفاً لحالته النفسية، وشدة خوفه، ومعاناته من وعيد رسول الله ﷺ، وهنا يظهر جوهر القصيدة؛ لأنه كان يتقصَّد إسماع ذلك للنبي، ولعل بيت القصيد فيها هو البيت الذي يقول فيه:

36. أُنبِئْتُ أنَّ رَسُولَ اللهِ أَوْعَدَنِي والعَفْوُ عندَ رَسُولِ اللهُ مَأْمُولُ

إن كعباً يكشف، في الشطر الأول من هذا البيت، عن (دافعه) إلى نظم هذه القصيدة، وهو (الوعيد)، ويكشف، في الشطر الثاني منه، عن (غايته) منها، ألا وهو (العفو)، الذي يشتمل على حقن دمه المهدور، والذي أقض مضجعه وأقلق باله، وحال بينه وبين تذوق ملذات الحياة وأطايبها، كما يتذوقها المطمئنون عادة.

والأسئلة التي تطرح نفسها، هنا، لو كانت هذه القصيدة مدحية وتنطلق من منطلق الحب، والإعجاب أو الطمع في جائزة: فما الداعي لأن يعبر الشاعر عن خوفه وقلقه لممدوحه من الوعيد؟ ولِمَ يطلب العفو؟ وهل كل مادح يصف خوفه للممدوح ويطلب العفو عن ذنبٍ ما؟ ولِمَ يذكر الوشاة وما أشاعوا على لسانه من أقاويل باطلة، ولِمَ يتنصل من الذنب وينكر أن يكون متهماً أصلاً؟ ولِمَ يستمهل النبي قبل أن يسمع دفاعه عن نفسه؟ إن المعجم اللغوي في هذا القسم – من مثل (مقتول، أوعدني، العفو، لا تأخذني بأقوال الوشاة، مهلاً، لم أذنب، الأقاويل... إلخ) – لا يمكن أن يكون معجماً لقصيدة مدح. إننا بهذه الوقائع أمام ما يشبه مرافعةَ دفاع أو حالةٍ كحالة النابغة الذبياني مع ملك الحيرة المتجبِّر النعمان بن المنذر (أبي قابوس)، فقد كان لا ينفك يصور رعبه الشديد من الملك، ويتهم الوشاة والحساد والخصوم، ويعلن البراءة، ويسأل العفو، ويصوِّر قدرته عليه، كقوله في واحدة من اعتذارياته:

فإنَّكَ كالليلِ الذي هو مُدْرِكي وإنْ خِلتُ أنَّ المنتأى عنكَ واسِعُ[55]

وهذا كله يدلّ على أن غاية القصيدة إنما هي (**العفو**)، وأن كل ما جاء به في قصيدته، كان يخدم هذه الغاية، أو يمهد لها، أو يعاون عليها، ولكن أيكفي الشاعرَ أن يستعرض كلَّ ذلك في حضرة من يطلب إليه أن يعفو عنه، أم أن هذا

الطلب يقتضي شيئاً من المدح؟ ثم أيكون المدح هنا غاية في ذاته أم وسيلة إلى الحصول على العفو وحقن الدم؟ لاشك في أن مدح النبي في القسم الرابع (ب41-48) لم يكن مقصوداً - على إيجازه الشديد - لذاته، ولم يكن محركه الأول لنظم القصيدة، ولذا فالقصيدة، هنا، من حيث الغاية، (قصيدة اعتذارية) خالصة. ونحن نعلم أنه لا بد عموماً للمسيء، الذي يطلب العفو من ذي سلطانٍ وسطوة في المجتمع، من أن يتوجه إليه بمعانٍ مدحية مهمة تتعلق بأمرين أساسيين: الأول إظهار نفسه في غاية الضعف، والاستسلام، أمام هذا الشخص. والثاني إظهار ذلك الرجل بأكمل مظاهر القوة، التي تعطيه القدرة على إيذاء المسيء. وهكذا يقتضي طلب العفو تركيز الشاعر على مثل هذه المعاني، ولعلَّ النابغة الذبياني هو الذي وضع قواعد قصيدة الاعتذار في الجاهلية، أو هو الذي أنضجها على الأقل: ولذا نجد كعباً يحقق الأمر الأول، في القسم الثالث، الذي هو جوهر القصيدة وغايتها، ويحقق الأمر الثاني، في القسم الرابع، بأن يصف النبي ﷺ بما يلي:

1 - بأنه (**ذو نقمات**): أي أنه صاحب قدرة على إنزال العقاب، انتقاماً للإساءة إليه (ب41).

2 - بأن (**قيله القيل**): أي أن كلمته لا تُثَنَّى ولا تردّ، بل هي نافذة كالسهم المارق من الرَّمِيَّة (ب41).

3 - بأن شبَّهَه بـ (**الأسد الضاري**) الذي يخيف الإنسان والحيوان غاية الخوف بسطوته، فلا يُفْلِت منه أحدٌ يمر به (ب42-47).

4 - بأن شبَّهَه بـ (**السيف**) المنير والقاطع الذي سلطه الله تعالى على أعدائه من المنافقين والمشركين والكفار (ب48).

ولم يخرج كعب عن هذه المعاني إلى غيرها من المعاني الدينية الروحانية، أو المعاني التقليدية الموروثة في قصيدة المديح العربي القديمة أو المعاصرة لكعب. ثم إن كعباً لم يخرج في القسم الخامس (ب49-55) - الذي لم يكن بدوره مقصوداً لذاته، بل كان تابعاً أو متمماً لمدح النبي ﷺ، نظراً إلى

أن تقاليد المدح الجاهلية كانت تقتضي من الشاعر أن يمدح السيد وقومه دون غيرهم في قصيدته، ولما كان المهاجرون في أغلبهم من قريش فقد وجه إليهم مدحه بمعاني القوة والجرأة والشجاعة في الحرب لشد أزر النبي في الملمات.

وهكذا نجد أن هذه القصيدة إنما هي من حيث الجوهر **(اعتذارية)** لا **(مدحية)**، والفرق الواضح بين هذين النوعين:

1 - أن قصيدة الاعتذار تشتمل على شيء من معاني المديح (وخاصة معاني القوة والقدرة)، وهي تنطلق من دافع الخوف على النفس والدم من الأذى أو الحرمان، وتكون غايتها طلب العفو والتسامح والصفح عن الذنب المدَّعى عليه به.

2 - وأن قصيدة المديح لا تقتضي أبداً ذكر شيء من طلب العفو أو الصفح، أو ذكر شيء من معاني الخوف والتبرؤ من ذنب أو إساءة إلى الممدوح؛ لأنها في الأصل تنطلق من دافع الحب، والمودة، والاحترام، والإعجاب، أو - على الأقل - من دافع الطمع في جائزة أو عطاء.

وقد سارت على هذه القواعد نفسها اعتذاريات بعض شعراء المشركين ممن دخل في الإسلام، وتقدَّم إلى النبي ﷺ معتذراً إليه مما سلف منه بحقه وحق دعوته من إساءةٍ وأذى باللسان والسيف، إلا أنهم أضافوا قاعدة جديدة هي (التعبير عن الندم والوعد بالتعويض عما فعلوا بما يكفِّر عن ذلك)، وكانت هذه القاعدة نتيجة طبيعية لاعترافهم بخطئهم، خلافاً للنابغة وكعب اللذين أنكرا ما اتُّهِما به أو نسب إليهما وجادلا في دفعه، ومنهم عبد الله بن الزِّبَعْرَى السَّهْمِيّ إذ يقول في اعتذارية:

يا رسُولَ المليْكِ إنَّ لِساني راتِقٌ ما فَتَقْتُ إذْ أنا بُوْرُ[56]

وقال في اعتذارية ثانية:

إني لَمُعْتَذِرٌ إليكَ مِنَ الذي أَسْدَيْتُ إِذْ أنا في الضلالِ أَهِيْمُ[57]

وفعل مثلَ ذلك أبو سفيان (المغيرة) بن الحارث بن عبد المطلب، ابن عم النبي الكريم، حين تقدَّم إليه مسلماً ومعتذراً، إذ يقول:

لَعَمْرُكَ إني حينَ أحْمِلُ رايةً لِتَغْلِبَ خَيْلُ اللاتِ خَيْلَ مُحَمَّدِ
لَكَالمُدْلِجِ الحيْرانِ أَظْلَمَ لَيْلُهُ فهذا أَوَاني حينَ أُهْدَى وأَهْتَدِي[58]

ولو قارنا بين بقية أبيات هذه الاعتذاريات أو غيرها واعتذاريات النابغة، لوجدنا تناصاً في غاية الظهور، كقول أنس بن زُنَيْم الدِّيْلِيّ:

تَعَلَّمْ رَسُولَ اللهِ أَنَّكَ مُدْرِكِي وأَنَّ وَعِيْداً منكَ كالأَخْذِ باليَدِ[59]

وهذا يعزِّز ما ذكرنا من تأثير النابغة فيمن جاء بعده من المعتذرين.

8 - التناص بين (بانت سعاد) واعتذاريات النابغة الذبياني الست

نتوقع، مطمئنين إلى هذا التوقع، أن يكون كعب قد استحضر في ذهنه، حين قرَّ قراره على أن يسعى إلى النبي تائباً ومسلماً ومعتذراً، قصائدَ النابغة التي حاول أن يتوسل بها إلى قلب النعمان بن المنذر، ليعفو عنه، عندما اتهمه بالخيانة، لاتصاله في الشام بالغساسنة، الأعداء التقليديين لمملكة آبائه وأجداده، ومَدْحِهم بمدائح خلدت ذكرهم إلى يومنا، ولابد أن يقود هذا الاستحضار إلى شيء من التأثر بما استُحضِر، وهو ما نطلق عليه صفة التناص الذي يؤدي دورَ الموحي من خلال تكثيف الإشارة، وهذا التناص - بحد ذاته - دليل قوي أيضاً على أن قصيدة كعب اعتذاريةٌ، ويمكننا أن نرصد بعض نقاط التناص الموحية هذه فيما يلي:

1 - كان الشطر الأول من (البيت 36) - كما رأينا آنفاً - يستحضر إلى الذهن اعتذاريات النابغة الذبياني الست جميعاً إلى الملك النعمان بالحيرة؛ نظراً إلى أن صياغة هذا الشطر واحدة عند الشاعرين، وهي صياغة قصد بها كعب أن يكثف بها جميع تلك الاعتذاريات المشهورة بين العرب، ليبيّن للنبي ﷺ أنه إنما يعتذر بها جميعاً إليه، كما اعتذر بها النابغة نفسه إلى النعمان، وليجعل منزلة النبي في نفسه أعلى من منزلة النعمان في نفس النابغة، من حيث الرهبة والهيبة والقوة والقدرة، بدليل تصويره شدة أثر هيبة الرسول الأكرم، حتى في أضخم حيوان على الأرض، وهو (الفيل)، لو أنه تعرض لوعيد رسول الله ووقف بين

يديه، إذ صوَّره مرتعدَ الفرائص، مرتجفَ الأوصال من تلك الهيبة، وأنه يبقى كذلك إلى أن يشير النبي إليه بالأمان، الذي يعيد الطمأنينة إلى نفسه.

2 – وقد استغل كعب ذكر (الأسد) – رمز القوة عند العرب – في الشطر الثاني من (البيت 36)، الذي أخذ شطره الأول، وهو قول النابغة:

نُبِّئْتُ أن أبا قابُوسَ أوعدَنِي ولا قَرَارَ على زأْرٍ من الأسَدِ[60]

ليشبه الرسولَ، وهيبتَه في النفوس، به وهو في مأسدته، ويبالغ في وصف قوته وهيبته مبالغة شديدة: فهو أسد متفرد مع شبلين له، في غيضة، لا يجرؤ على المرور بها أو قربَها أشجع الشجعان؛ لأنه سيفترسه ويقطعه، وهو ذو سطوة على أنواع الحيوان التي تجاوره أو تقترب من حماه، وقد عاهد نفسه ألا يلقى أحداً إلا جعله طعاماً له ولشبليه.

3 – اختار البحر البسيط الذي يحتمل المعاني الكثيرة، كما فعل النابغة في داليته المشار إليها.

4 – استعمل كعب، في خطاب النبي ﷺ، فكرة الاستمهال، بقوله (مهلاً) مع الدعاء له، كي لا يتسرع في إنزال العقاب به، وهذا ما فعله النابغة قبله مع النعمان، في داليته، حين قال:

مَهْلاً فِداءٌ لكَ الأقوامُ كلُّهُمُ وما أُثَمِّرُ من مالٍ ومن ولَدِ[61]

5 – استعمل النابغة اسم (سعاد)، واسم (سعدى)، في قصيدة اعتذارية أخرى بائية، واستعمل في قصيدة نونية تعبيراً مشابهاً لتعبير النأي والبعد، فقال:

نأَتْ بسُعادَ عنكَ نَوَىً شَطُونُ فَبَانَتْ والفؤادُ بها رَهِيْنُ[62]

ويلاحظ أن معنى الشطر الثاني، من هذا البيت، مقارب لمعنى الشطر الثاني من مطلع قصيدة كعب. كما استعمل، في مطلع قصيدةٍ أخرى فخريةٍ، تعبيرَ **(بانت سعاد)** الذي افتتح به كعب قصيدته، وعرفت به، يقول النابغة:

بانَتْ سُعادُ وأمْسَى حَبْلُها انْجَذَما واحتلَّتِ الشَّرْعَ فالحيَّيْنِ من إضَمَا[63]

6 – كان وصول خبر غضب النعمان على النابغة، وتوعده إياه، قد تم عن

طريق الآخرين (نبئتُ أن..)، و(أتاني أبيتَ اللعنَ..)، وكذلك كان وصول خبر الوعيد إلى كعب من النبي الكريم عن طريق الآخرين (أنبئت أن..).

7 – طبق كعب قواعد القصيدة الاعتذارية، كما نهجها النابغة: فكان يؤمِّل خيراً من المعتذر إليه، ويلقي ما نُسِب إليه على الوشاة والخصوم، وكان يبالغ في تصوير ضعفه وقلة حيلته أمامه، ويضخم قوة المعتَذَر إليه وسطوته، ويستمهله ويدعو له، ويصور عمق خوفه وقلقه على مصيره منه، ويعلن براءته وتنصله من التهَم، كما فعل النابغة نفسه أيضاً.

وهذا التناص بنقاطه المذكورة، على نحو مختصر وسريع، يؤكد لنا مرة أخرى أن قصيدة كعب إنما هي – في توصيفها النوعي الدقيق – (اعتذاريةٌ) بامتياز، وما المدح القليل بالقوة والسطوة إلا وسيلة من وسائل تأكيد الاعتذار، كما أن هذا المدح تابع ومعاون كسائر الأنواع التابعة والمعاونة الأخرى، للوصول إلى الغاية وهي (العفو). وكما لا يجوز لنا أن نصف اعتذاريات النابغة الست إلى النعمان بأنها قصائد مديح – وإن كان المدح قد تخلَّلها – فكذلك لا يجوز لنا أن نصف قصيدة كعب هذه بأنها مدحية؛ لأنها اعتذارية حقيقية تخلَّلها بعض المدح.

9 - مَنْ مؤسِّس فن (النبويات): كعب أم حسان بن ثابت؟

هذا سؤال مهم يطرح نفسه؛ نتيجة الوهم الذي جر القدماءُ والمحدثون الناسَ إليه، وهو أن كعباً كان – بقصيدته (بانت سعاد) – مؤسِّسَ هذا النوع الشعري الجديد في صدر الإسلام، المعروفِ باسم (المدائح النبوية)، أو اختصاراً باسم (النبويات)، وهو نوع مشتق أصلاً من (المديح التقليدي) المعروف منذ الجاهلية؛ وذلك لأن النبويات اختصت بمدح شخصية النبي ﷺ وحده فقط، في حياته وبعد مماته، وتميزت بجملة خصائص نوعية خالفت المدح التقليدي، وكان هذا الوهم قد تكوَّن في الوعي الشعري العام للقدماء والمحدثين، وتصرفوا على أساسه وبنوا عليه، فأنتجوا لنا ما أنتجوا، وقالوا ما قالوا، مما مر بنا آنفاً.

ولكن ما حقيقة الأمر؟

لقد تبين لنا – مما سلف بالحجة والدليل – أن قصيدة (بانت سعاد) تنتمي إلى نوع (الاعتذاريات) لا (المدائح)، ونضيف إلى ذلك بعض الحجج التي تنصر حسان بن ثابت في أنه أول من وضع قواعد هذه (النبويات) في الشعر العربي:

1 – دخل حسان في الإسلام من منطلق الحياد مختاراً حين عرض عليه، ودخله كعب من منطلق العداء مضطراً.

2 – كان إسلام حسان أقدم من إسلام كعب.

3 – لم يتقدم حسان إلى النبي والمسلمين بهجاء قط، ولكن كعباً تقدم إليهم بذلك.

4 – ناصَرَ حسان الدعوة بلسانه منذ السنة الثانية للهجرة، بُعَيْد وقعة (بدر) مباشرة، بطلبٍ من النبي ﷺ وتشجيعه، وبحماسةٍ واضحةٍ من حسان الذي سخَّر كلَّ شعره لأحداث الدعوة، ولم يقف كعب موقفاً واحداً بعد إسلامه مناصراً الدعوة بلسانه، ولم يسخر شعره في خدمتها.

5 – قال كعب في إسلامه قصيدته (بانت سعاد)، ورائيته في مدح الأنصار، وثالثةً مشكوكاً فيها في مدح علي (رضي الله عنه)[64]، وبضعة أبيات متفرقة فيها نَفَسٌ إسلامي بسيط، أما حسان فقد طبع شعره كله بعد إسلامه بنفَسٍ إسلامي، ومدح النبي ﷺ بشعر كثير في حياته وبعد وفاته، حتى إنه علَّل عماه في آخر حياته بكثرة بكائه عليه ﷺ منذ وفاته، فقال[65]:

كنتَ السوادَ لناظري فَعَمِيْ عليكَ الناظِرُ
مَنْ شاءَ بَعْدَكَ فَلْيَمُتْ فعَلَيْكَ كنتُ أُحاذِرُ

6 – حمل حسان لقب (شاعر النبي) ولم ينل كعب شرف هذا اللقب.

7 – أثنى النبي على حسان ودعا له بتأييد روح القدس، وهجا أعداءه بما جعل بعضهم يستجير بالنبي من شعره، لشدة أثره في النفوس، ولم ينل كعب مثل ذلك.

8 - قال حسان في مدح النبي ﷺ بيتين، أرى فيهما حجر الأساس المتين، الذي بني عليه صرح (النبويات)، من عهدهما إلى اليوم، وحتى يوم الدين، وهما قوله[66]:

وأَحْسَنُ منكَ لم تَرَ قَطُّ عَيْني وأجمَلُ منكَ لم تلِدِ النساءُ
خُلِقْتَ مُبَرَّأً من كلِّ عَيْبٍ كأَنَّكَ قد خُلِقْتَ كما تَشاءُ

فالنبي صورة مثالية للحسن والجمال في الخَلْق، كما أنه مثال لكمال الخُلُق، وهذا فحوى قوله تعالى في محكم التنزيل: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[67].

فأي الشاعرين أحقُّ بنسبة تأسيس (النبويات) إليه: كعب أم حسان الذي سخَّر - بعد الهجرة - كل طاقاته الإبداعية في خدمة الدعوة، والمنافحة عنها، وعن صاحبها ﷺ وعن أصحابه (رضي الله عنهم) ودينه؟

الهوامش والمراجع

(1) وقد تفنن أكثر هؤلاء الشراح - في العصور المتأخرة - في تسمية شروحهم، ومن ذلك على سبيل المثال: (**أقصى المراد في شرح بانت سعاد**)، و(**الجوهر الوقّاد في شرح بانت سعاد**)... إلخ.

(2) تتألف هذه القصيدة في: المزني، كعب بن زهير: **شرح ديوان كعب بن زهير**، صنعة: أبي سعيد السكري (م275هـ) وروايته، القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر، 1385هـ- 1965م)، ص6-25 من 55 بيتاً. ونجد العدد نفسه في كتيّب: البغدادي، عبد اللطيف بن يوسف (م629هـ): **شرح بانت سعاد**، تحقيق: هلال ناجي، الطبعة 1، الكويت: مكتبة الفلاح، 1401هـ-1981م، ويذكر المحقّق 53 شرحاً عليها لكبار العلماء عبر العصور منها ما لا يزال مخطوطاً في مختلف مكتبات العالم، ومنها ما نشره بعض المستعربين الأوروبيين من أمثال الفرنسي (رُنيه باسّيه) R.Basset مع ترجمة، والألماني (فريتس كرنكوف) F.Krenkow مع ترجمة، والإيطالي (إغناتسيو غويدي) I.Guidi، ومنها ما نشره بعض المحققين العرب أنفسهم: كالشيخ إبراهيم الباجوري بمصر سنة 1307هـ، والدكتور رشيد العبيدي ببغداد سنة 1974، ولكن أغلب الشروح لا تزال مخطوطة حتى الآن. والقصيدة في: الحميري، عبدالملك بن هشام (م218هـ): **السيرة النبوية**، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبدالحفيظ شلبي، الجزء 2، دار الكنوز الأدبية، 2/ 503-513 وعدة أبياتها 57 بيتاً. وهي أيضاً: إحدى (المشوبات) في: القرشي، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب (م ق3هـ أو ق4هـ): **جمهرة أشعار العرب**، تحقيق: علي محمد البجاوي، القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 1981، ص282-287 وعدة أبياتها 58 بيتاً، وقد فسَّر الدكتور أمجد الطرابلسي كلمة

(المشوبات) بأنها (القصائد التي شابها الكفر والإسلام، وهي سبع قصائد)، انظر كتابه: **حركة التأليف عند العرب**، الطبعة 6، دمشق: مكتبة دار الفتح، 1397هـ-1976م، ص111هـ1. وقد رويت القصيدة في هذه المصادر مع اختلاف في رواية بعض الكلمات، وفي تقديم بعض الأبيات وتأخيرها، وفي زيادتها ونقصها، وهذه سمة من سمات رواية القصائد المطولة عند العرب.

(3) انظر كتابه: الجمحي، محمد بن سلام (م231هـ): **طبقات فحول الشعراء**، تحقيق: محمود محمد شاكر، القاهرة: مطبعة المدني، ص97 ويبدو أن ابن سلام - بهذا التصنيف - لم يكن ممن يأخذون بمصطلح (المخضرمين) بين الجاهلية والإسلام، في حين أن أبا الفرج استعمله صراحة في وصف كعب فقال: "وهو من المخضرمين"، انظر: الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (م356هـ): **الأغاني**، تحقيق: علي محمد البجاوي، الجزء 17، بيروت: مؤسسة جمال للطباعة والنشر (صورة عن طبعة **الهيئة** المصرية العامة للكتاب)، 17/ 82.

(4) الأغاني (الهيئة)، 17/ 88.

(5) انظر هذا الخبر في: الأغاني (الهيئة)، 17/ 86 وقد روى الأبيات 1و2و4 على ترتيب 1 و4 و2 مع إثبات عجز البيت 3 هنا لصدر البيت 1، ورواية صدر البيت 2 هنا (سقاك أبو بكر بكأس رويَّةٍ) وهو لا يستقيم معنى ولا توالياً مع عجزه، وقد أثبتنا هذه الأبيات من رواية: شرح ديوان كعب بن زهير، ص3-4. ورويت الأبيات مع اختلاف في الرواية والترتيب وزيادة بيت فيها في: السيرة النبوية، 2/ 501 و 502 أيضاً.

(6) الأغاني (الهيئة)، 17/ 86.

(7) انظر: السيرة النبوية، 2/ 502 ورويت أيضاً رواية مطابقة في: شرح ديوان كعب بن زهير، ص4 فيما عدا سهواً ورد في السيرة في عجز البيت 3 (من الناس) ولا معنى له يوم القيامة.

(8) السيرة النبوية، 2/ 502-503 وتختلف الرواية بعد ذلك بين المصادر فيمن لقي في المدينة ومن أوصله إلى النبي ﷺ وهو في مسجده: ولكن الرواية الأقوى رواية ابن سلام في: طبقات فحول الشعراء، ص99-100 وهي تقول إن كعباً أتى أبا بكر (رضي الله عنه)، فقدمه إلى النبي على أنه رجل جاء يعلن إسلامه فوضع يده بيده متلثماً، فطلب الأمان وكشف اللثام وعرَّف نفسه، فغضب الأنصار، واستأذن أحدهم النبي ليضرب عنقه فكفه عنه. ثم إن كعباً نطق بالشهادتين "فأمَّنه رسول الله، **فأنشد مِدْحتَه التي يقول فيها: بانت سعاد..**" (المصدر السابق، ص100)، ونقل هذه الرواية نفسها ابنُ قتيبة عن ابن سلام في: الدِّيْنَوَرِيّ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (م276هـ): **الشعر والشعراء**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، القاهرة: دار المعارف، 1966، ص154 ولم يذكر صفة القصيدة. والمعلوم أن النبي والمهاجرين سُرُّوا بذلك، وقد أصلح النبي لكعب - في أثناء إنشاده - بعض ألفاظه لتستقيم مع طبيعة العقيدة والدعوة، وفي نهاية المطاف كافأه بخلع بردة كانت عليه وألبسه إياها، واشتراها معاوية في خلافته من ورثة كعب بمبلغ ضخم. واشتهرت القصيدة وذاعت بين المسلمين، حتى عرفت في زمن لاحق، لا ندري متى، باسم (البردة) لارتباطها بهذه المكافأة.

(9) طبقات فحول الشعراء، ص99.

(10) اعتمدنا، هنا، نصَّ رواية: شرح ديوان كعب بن زهير، ص6-25 وشرحنا في الهوامش بعض ألفاظ ما اخترنا من أبياتها، ولم نثبت كثيراً من أبياتها التي أنفقها الشاعر في وصف ناقته، نظراً لإغراقها في التقليدية والغريب. كما أننا رقَّمْنا الأبيات - تسهيلاً للمراجعة والمطابقة - بحسب تسلسُلِها في هذا الشرح؛ لأنها غير مرقمة في الديوان.

(11) يلفت انتباهنا هنا عدم رواية السكري البيت الذي يلي هذا البيت ويُعَدُّ أجمل بيت في وصف (سعاد)، مع أنه مروي في السيرة النبوية، وهو قول كعب:

هيفاءُ مُقبِلةً عجزاءُ مُدبِرةً لا يُشْتكَى قِصَرٌ منها ولا طُولُ

(12) **عوارض ذي ظلم**: أسنان فم ذي ماء؛ أي ريق عذب كأن طعم الخمر خالطه وامتزج به.

(13) **سيط من دمها**: أي خالطه وامتزج به حتى صار طبعاً أصيلاً في سلوكها. **الفجع**: ألم المصيبة. والولع: الكذب.

(14) **عذافرة**: ناقة شديدة غليظة. الأين: التعب. الإرقال: أن تعدو وتنفض رأسَها. التبغيل: السير المتتابع بلا كلل.

(15) **ترمي**: تستهدف بنظرها أي تتطلَّع. الغيوب: جمع غيب، وهو ما غاب وراء الأفق. المفرد **اللهق**: الثور الوحشي الأبيض المنعزل بنفسه. **توقدت**: بلغت أعلى درجة من الحر وقت الهاجرة. **الحزان**: الأرض الغليظة الوعرة ذات الحصا والحجارة. **والميل**: الأرض الواسعة. يريد أن هذه الناقة تكون أقوى من مثيلانها على السير في مثل هذه الظروف.

(16) **أوب الذراعين**: رجعهما؛ أي ترددهما بالتبادل في أثناء سيرها. **العساقيل**: جمع عَسْقل، وهو السراب. القور: جمع قارة، وهي الجبل المرتفع. وأراد أن الجبال كانت تشتمل بالسراب، كناية عن شدة الحر، وعكس للضرورة.

(17) **شدَّ النهار**: وقتَ اشتداد حره في الهاجرة. العيطل: المرأة الطويلة الجسيمة. **النصف**: التي بلغت منتصف عمرها. **قامت**: جعلت تنوح. **النكد**: جمع نكداء، وهي التي فقدت زوجاً أو ابناً. المثاكيل: جمع مِثْكال، وهي كثيرة الفَقْد للولد. و(ذراعا عيطل) خبر لـ (كأن أوبَ ذراعيها) آنفاً.

(18) **رخوة الضبعين**: لينة العَضُدَيْنِ، يريد أنها سريعة في ترديد ذراعيها في أثناء النواح. **المعقول**: العقل.

(19) **تفري**: تخمش. **اللبان**: الصدر. المدرع: **القميص**. ومدرعها **رعابيل**: ممزَّق مِزَقاً. **التراقي**: يريد بها عظمتي أعلى القفص الصدري عن يمين وشمال، جمع تَرْقُوَة.

(20) **ضِراء الأسد**: المدمنة على الافتراس وأكل اللحم. **مخدره**: مسكنه. **عَثَّر**: موضع تكثر فيه الأسود. والغيل: الأجمة ذات الشجر المتشابك.

(21) **يلحم ضرغامين**: يطعمهما اللحم، وأراد بالضرغامين شبلي الأسد؛ لأنه لا يزال يعينهما على طعامهما. **وعيشهما**: طعامهما أو قُوتهما. لحم من القوم: مِمَّنْ يمرون قرب غيل الأسد. واللحم المعفور: المختلط بالتراب. **الخراذيل**: اللحم المقطع.

(22) طبقات فحول الشعراء، ص100، وساق عشرة أبيات انتقاها من مختلف مواطن القصيدة.

(23) الأنصاري، أبو محمد جمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام (م761هـ): **شرح قصيدة بانت سعاد**: تحقيق: الشيخ إبراهيم الباجوري، مصر المحروسة: المطبعة الميمنية لصاحبها أحمد البابي الحلبي، 1307هـ، ص4.

(24) انظر: ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (م681هـ): **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، بيروت: دار صادر (الترجمة رقم 832).

(25) انظر كُتَيِّبه: شرح بانت سعاد (تحقيق هلال ناجي)، ص97-98.

(26) انظر: البوصيري، أبو عبد الله شرف الدين محمد بن سعيد (م697هـ): **ديوان البوصيري**، تحقيق: محمد سيد كيلاني، الطبعة 1، القاهرة: مكتبة مصطفى البابي الحلبي، 1955، ص172. ونَظَم قصيدة أخرى (ميمية) عرفت خطأً باسم (**البردة**)، وأغلب الظن أنها سميت (**البُرْأة**)؛ نظراً لأن البوصيري كان مفلوجاً، فرأى في المنام أن النبي ﷺ يزوره ويمسح على شقه المفلوج فيصبح سليماً معافى، فنظم تلك القصيدة (**أَمِنْ تذكُّرِ جِلَّانٍ بذي سَلَم**) فلقيت اهتمام الناس من وقتها إلى اليوم، وعارضها أحمد شوقي بقصيدته (**رِيْمٌ على القاعِ بينَ البانِ والعَلَم**) وأسماها (**نهج البردة**)، وغنت السيدة أم كلثوم أبياتاً مختارة منها. وكان البوصيري وشوقي وغيرهما من شعراء (النبويات) يسيرون على نهج قصيدة (**بانت سعاد**) ظناً منهم أنها (**قصيدة مدحية**).

(27) وقد تنبّه على ذلك عبد القادر البغدادي (م1093هـ)، فقال: (وقد سَمَّى الناسُ قصيدة البوصيري **البُردَة** تشبيهاً بها، والصوابُ تسميتُها **البُرْأَة** - بالهمزة - لبُرْءِ ناظمها من الفالج)، انظر: البغدادي، عبد القادر بن عمر (م1093هـ): **حاشية على (شرح بانت سعاد لابن هشام الأنصاري)**، تحقيق: نظيف محرم خواجة، فسبادن (بألمانيا): دار فرانتس شتاينر (طبع دار صادر ببيروت)، 1400هـ-1980م، 1/ 70.

(28) حاشية على (شرح بانت سعاد لابن هشام الأنصاري) لعبد القادر البغدادي (طبعة نظيف محرم خواجة)، في جزأين (الثاني منهما في قسمين).

(29) انظر كتابه: شرح قصيدة بانت سعاد (طبعة الباجوري)، ص4.

(30) عنوانها (**الجوهر الوقَّاد في شرح بانت سعاد**)، الورقة 3/ب، ومخطوطة الشرح من مخطوطات مكتبة جامعة الملك سعود في الدرعية، ورقمها (3085ز).

(31) الشعر والشعراء، ص141-142 و 154-155.

(32) المرزباني، أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى (م384هـ): **معجم الشعراء**، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج (بلا معلومات نشر)، ص230-231.

(33) القيرواني، أبو علي الحسن بن رشيق (م456هـ): **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الجزء 1، الطبعة 4، بيروت: دار الجيل، 1972، 1/ 24.

(34) انظر: جمهرة أشعار العرب (طبعة البجاوي)، ص37-38.

(35) جمهرة أشعار العرب، ص632–641 (طبعة البجاوي) وص282–287 (طبعة دار صادر).

(36) انظر: الأغاني (الهيئة)، 17/ 87.

(37) انظر كتابه: **تاريخ الأدب العربي**، الطبعة 24 (بلا معلومات نشر)، ص147.

(38) تاريخ الأدب العربي، ص148.

(39) انظر كتابه: **تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي)**، الطبعة 19، القاهرة: دار المعارف، 2000، ص85.

(40) انظر كتابه: **قصيدة المدح حتى نهاية العصر الأموي (بين الأصول والإحياء والتجديد)**، دمشق: منشورات وزارة الثقافة، 1981، ص213–214.

(41) انظر كتابه: **المدائح النبوية**، بيروت والقاهرة: مكتبة لبنان والشركة المصرية العالمية للنشر–لونجمان، 1991، ص44.

(42) المدائح النبوية، ص55.

(43) المدائح النبوية، ص55.

(44) المدائح النبوية، ص56.

(45) انظر كتابه: **المدائح النبوية في الأدب العربي**، القاهرة: مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ص25.

(46) انظر كتابه: قصيدة المدح، ص222.

(47) المصدر نفسه.

(48) انظر كتابه: **شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه**، الطبعة 1، بغداد: منشورات مكتبة النهضة، 1384هـ/ 1964م، ص348.

(49) انظر كتابه: **في الشعر الإسلامي والأموي**، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1407هـ/ 1987م، ص22.

(50) شعر المخضرمين، ص356.

(51) انظر كتابه: **تاريخ التراث العربي**، ترجمة: الدكتور محمود فهمي حجازي، المجلد الثاني (القسم الثاني)، الرياض: منشورات إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود، 1411هـ–1991م، 2/ 2/ 210.

(52) انظر كتابه: **تاريخ الأدب العربي**، ترجمة: الدكتور إبراهيم الكيلاني، الجزء 2، دمشق: منشورات وزارة الثقافة، 1973، 2/ 95.

(53) انظر كتيّبه: **الأدب العربي**، ترجمة: رفيق بن ونّاس وصالح حيزم والطيّب العشّاش، الشركة التونسية لفنون الرسم، 1980م/ 1400هـ، ص27.

(54) انظر كتابه: **تاريخ الأدب العربي**، ترجمة: الدكتور عبد الحليم النجار، الجزء 1، الطبعة 3، القاهرة: دار المعارف، 1974، 1/ 156.

(55) النابغة الذبياني: **ديوان النابغة الذبياني**، صنعة: ابن السِّكِّيْت، تحقيق: الدكتور شكري فيصل، دمشق: دار الفكر، تاريخ المقدمة 1388هـ-1968م، ص52.

(56) السهمي، عبد الله بن الزِّبَعْرَى: **شعر عبد الله بن الزبعرى**، تحقيق: الدكتور يحيى الجبوري، الطبعة 2، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1401هـ-1981م، ص36 والسيرة النبوية، 2/ 419 راتقٌ: سادٌّ أو خائطٌ. فتقت: شققتُ. بورٌ: هالك.

(57) شعر عبد الله بن الزبعرى، ص45 والسيرة النبوية، 2/ 419 أسديت: قدمت.

(58) السيرة النبوية، 2/ 401.

(59) السيرة النبوية، 2/ 424.

(60) ديوان النابغة الذبياني، ص25.

(61) ديوان النابغة الذبياني، ص21.

(62) ديوان النابغة الذبياني، ص256 نوى: تحوُّل من مكان إلى آخر. شطون: بعيد شاقّ.

(63) ديوان النابغة الذبياني، ص105.

(64) شرح ديوان كعب بن زهير، ص251-254 أثبتها الناشر من مخطوطة لكتاب: منتهى الطلب من أشعار العرب.

(65) انظر: الأنصاري، حسان بن ثابت: **ديوان حسان بن ثابت**، تحقيق: الدكتور سيد حنفي حسنين، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ-1974م، ص383.

(66) ديوان حسان بن ثابت، ص371.

(67) **القرآن الكريم**، القلم: 4.